

الصّحة الإيمانيّة والوقاية من السّلوك الانحرافي

لدى المرأة داخل مؤسسة الزاوية

دكتوراه : بغدادي خديجة

تحت اشراف، أ/ د: العلاوي أحمد

—بجامعة وهران2

baghdadi.khad3@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 12-04-2018 / تاريخ القبول: 31-05-2018 / تاريخ النشر 15-09-2018

Abstract:

Sufism has been able to present itself to mankind as a cognitive structure and a spiritual tendency, which has made Alanthrobologin researchers pay great attention to the mystical thought of the phenomenon and the soles, and because the woman possesses a place in this spiritual space, we have decided to stand in the problem of right Of faith in the structure of Sufi education, and how the angles contribute to the prevention of women--as Murid and Mufah--from deviant behaviour, and we used the descriptive and analytical approach which is based on describing the phenomenon as it is in fact, and beside it we relied on observation and interview as tools for data collection Information on the subject of the study, and for that, three angles were chosen in the city of Oran, with different Sufi methods (, Al-Zawiya Tidjaniya, and Al-Zawiya Hibriya ,and Alaouya) for the frequent reluctance of women .

Preliminary results have shown that faith health has a great potential for prevention in deviant behaviour and the industry of social behaviour, because Sufi education is a spiritual, moral and ethical breeding, which contributes to self-promotion and protection from the arrogance and imprudence behind the whims that lead To enhance the susceptibility of the deviant behavior industry .

Key words: faith health; mysticism; poor; deviation

ملخص :

لا مرأ في أنّ التصوف استطاع أن يقدّم نفسه للبشرية كبنية معرفية ونزعة روحانية ، وهذا ما جعل الباحثين الأنثروبولوجين يولون اهتماما كبيرا بالفكر الصوفي في شقيه الظاهر والباطن ، ولأنّ المرأة تحوز على مكانة لها داخل هذا الفضاء الروحاني، إرتأينا أن نقف عند إشكالية الصّحة الإيمانيّة في بنية التّربية الصّوفيّة، وكيف تسهم الزوايا في وقاية المرأة—كمريدة ومتصوفة—من السلوك الانحرافي ، ولقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة كما هي في الواقع ، وإلى جانبه اعتمدنا على الملاحظة والمقابلة كأداتين لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة ولأجل ذلك تم اختيار ثلاثة زوايا بمدينة وهران، ذات طرق صوفية مختلفة (الزاوية التيجانية، والزاوية العلاوية، والزاوية المهرية) لتردد النساء عليها بكثرة.

وقد أظهرت النتائج الأولية أنّ الصحة الإيمانية لها قدرة كبيرة في الوقاية في السلوك الانحرافي، وصناعة السلوك السّوي الاجتماعي، ذلك لأنّ التربية الصّوفية هي تربية روحية وذوقية وأخلاقية، تسهم في ترقية النفس ووقايتها من الرّعونة والانقياد وراء النزوات التي تؤدي إلى تعزيز قابليّة صناعة السلوك الانحرافي.

الكلمات المفتاحية: الصحة الإيمانية؛ التصوف؛ الفقيرات؛ الانحراف

مقدمة:

لقد أثبت لعلماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع أثناء دراستهم لثقافة التّربية وكيفية التعامل معها، أنّ مجمل السلوكات إمّا تتناقل من جيل إلى آخر، أو يتم توارثها، حيث أنّه تبين لهم بعد دراستهم الميدانية للمجتمعات البدائية أنّ هذه الثقافة تنتقل عبر المرافقة، وقد أكدّ هذا الأمر أبو هلال في قوله: "التربية أداة للتعبير الثقافي" (أبو هلال أحمد، الأنثروبولوجيا التربوية، 1979، ص219). وبما أنّ الإنسان هو من أنتج هذه الثقافة، فهو يطورها حسب ديناميكية المجتمع وتطوره، والتّطور الاجتماعي عبر مراحل الزمن فرض تكريس مجموعة من السلوكات والتّشجيع على التمسك بها، ونبذ سلوكات أخرى، و الدعوة إلى محاربتها، وهذه الإزالة تكون عبر منهج تربوي، يعمل على تقويم السلوك التربوي وإصلاح اعوجاجه وتعديله حسب طبيعة القدرات العقلية والجسميّة، ونموها لدى الفرد، ثم إنّ الزاوية واحدة من تلك الأنظمة التي أخذت على عاتقها مسؤوليّة الأخلاق والتربية الروحية، لذا دأب شيوخ الطرق الصوفية بتوجيه المريد إلى الكمال الإنساني، الذي يهدي إليه الدّين الإسلامي بالمتابعة في مقام الأفعال كما هو مطلوب في الشريعة أو مقام الإسلام مصداقاً لقوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (سورة آل عمران، الآية : 31)، كما عمدوا إلى رسم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي، فحددوا أهدافاً خاصة للتربية وضبط سلوك المريد وتعديله، ومنازل يسير فيها السّالك في درجهم.

كيف تساهم الزوايا في دعم الصّحة الإيمانية لدى المرأة كمريدة وصوفية؟ وماهي قدرة الصحة الإيمانية على الوقاية من السلوك الانحرافي؟

أهمية البحث والحاجة إليه: يفيد البحث عموم الباحثين والدارسين الأنثروبولوجيين والمشتغلين في المؤسسات الفنية والثقافية ذات العلاقة بالفكر الصوفي من حيث تقديمه دراسة اثنوغرافية لمريدات الزوايا والطرق الصوفية.

هدف البحث: يهدف البحث إلى الكشف عن مضامين التربية الروحية في بنية الصوفية من خلال طقوس الطريقة المهرية والتيجانية والعلوية بمدينة وهران.

حدود الدراسة:

الحد الزمني: يتمثل الحد الزمني في هذا البحث جانفي 2017

الحد المكاني: الزاوية المهرية والزاوية التيجانية والزاوية العلوية بمدينة وهران.

الحد البشري: فقيرات الزوايا الثلاث

منهجية الدراسة: اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون)، وذلك لملائمته أهداف البحث

أداة الدراسة:

المقابلة: تعتبر المقابلة أداة البحث الأساسية والرئيسية، حيث تستخدم لدراسة سلوك فرد أو مجموعة من الأفراد قصد الحصول على استجابة لموقف معين أو لأسئلة معينة وملاحظة النتائج المحسوسة للتفاعل الجماعي أو الاجتماعي

الملاحظة: سواء كانت الملاحظة البسيطة أو الملاحظة بالمشاركة فلا يمكن انكار " أنّها أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها من أجل ملاحظة وسط معطى¹، لذلك من الصعب جدا أن نتصور دراسة جادة لسلوك الإنساني، لا تلعب الملاحظة دورا هاما فيها ولقد قامت الباحثة بتتبع المريدين اثناء تأديتهم لطقس الحضرة بالزاوية المهرية ومراقبتهم عن كثب وتسجيل كل الملاحظات المتعلقة بطريقة ذكرهم .

أولاً: مدخل لفهم الصحة الإيمانية:

لاشك أنّ العقيدة الإسلامية سعت بشكل كبير في ترسيخ الايمان، ذلك أن راحة النفس لا تتأتى إلّا بالإيمان بالله جلّ وعز، وإذا عُلِمَ هذا، فليعلم أن أساس قبول العمل عند الله هو الإيمان؛ لقوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}²، فلا غرو إذن أنّ الايمان يشكل اللبنة الأساسية في بناء شخصية مثالية، وعنهما ينبثق الشعور والتطور ونمط السلوك، فالإيمان ليس مجرد معرفة ثقافية، إنّما هو القاعدة الأساسية التي يقام عليها البناء الشخصي، ولذلك حرص الاسلام على تربية الانسان تربية إيمانية صحيحة، ليصنع منه الانسان الرّسالي الذي تعيش الرسالة في أعماقه، ويمارس دوره في الحياة وفق خط تصاعدي لا اهتزاز فيه. فهو يريد الإنسان أن

يكون سويًا مستقيمًا مع نفسه ومع غيره، وهذا ما لا يتحقق إلا بالتوافر على الرصيد الإيماني الضخم الذي يمنح الانسان قوة الثبات وقدرة الصمود.

والايمان بالمنظور الإسلامي يتجاوز الأبعاد والحقائق الغيبية المحصورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم "الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"³، ولا يقتصر معنى الإيمان على الجزم والتصديق فقط، بل لابد أن يصاحب ذلك ظهور آثار هذا الجزم على العمل، فالإيمان بالله يتجلى من خلال الشعور بمراقبته تعالى، وبالتالي الامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه، وتؤمن بملائكة الله أي تعرف أدوارهم، وتشبه بأخلاق الأنبياء والمرسلين والافتداء بهم والاعتبار من حياتهم، فادعاء الإسلام ممكن لكن ليس ممكنًا مع الايمان، ذلك أن الايمان باعث على الاستقامة وموجب لها لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"⁴. وبهذا المعنى يصبح الايمان ترجمة حقيقية للنفس الإنسانية من خلال تفاعله مع الآخر داخل مجموعة من الأفراد، حيث تصبح الأفعال والأقوال مرآة تعكس صدق سريرة صاحبها وقوته الايمانية، إذ لا معنى للحالة النفسية الايمانية إذا لم تتحول إلى سلوك تفاعلي يومي يظهر من خلال التعاملات اليومية مع الناس، و يكون فردا فعالا بناءً ويؤثر إيجابيًا في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وجملة القول إن جانب الصحة الايمانية والأخلاق يمثلان القنطرة التي تربط باب صلاح الفرد بباب صلاح المجتمع لذلك جاء على لسان المحاسبي قوله: «إذا صلح العبد صلح الله بصلاحه سواء، وإذا فسد العبد أفسد الله بفساده سواء»⁵

ثانيا: الصحة الايمانية والتربية الروحية في بنية الصوفية:

ذكرنا سابقا أن الصحة الإيمانية هي صَمَام أمان للمجتمع ضد انتشار الفوضى الأخلاقية وانتشار الصراعات وأشكال الانحراف السلوكي وغيرها...، ومن هنا فقد اهتمت الزاوية بالتربية الصوفية الإسلامية لكونها حصانة قيمية وسلوكية ضد الانحراف بكل أشكاله، كما سعت إلى إعادة الاعتبار للقيم الروحية وفعاليتها في تنظيم الحياة الاجتماعية، وإعادة صياغة السلوك الاجتماعي وفقا لقيم الأخلاق والدوقية والجمالية، والتفاهم الاجتماعي "والصوفي مثل أي مسلم جيد ملزم باحترام الشريعة واتباعها، من خلال تجاوز المعنى الحرفي من أجل إعطاء الأولوية للروح"⁶، ومن الإجحاف أن نغض الطرف عن ذلك الدور الكبير الذي تلعبه مؤسسة الزاوية في تشكيل البنية القاعدية لسلوك المريدات من خلال التربية الصوفية، التي تعد بمثابة درع وقاية من الانحراف أو الزيغ عن السلوك السوي القويم

،والتي تتمظهر في ممارسات اجتماعية تجعل أصحابها مثلاً يحتذى حذوه من قبل الآخر ،لذلك دأب شيوخ الصوفية على العناية المركزة على الروح الإنسانية كونها المحطة الأولى في الارتقاء الصوفي عامة ،بل لا يمكن التدرج في المقامات الروحية للتصوف بدون المرور أولاً على هذه المحطة ،وضمن هذا الإطار جعل شيوخ الزوايا اهتمامهم خاصة تقوية الصحة الإيمانية لدى مريديهم باعتبارها تقي الإنسان من الأمراض النفسية التي شاعت في المجتمعات البشرية، كما تقيه من الصراعات الداخلية وما يصاحبها من قلق وتوتر وخوف وملل واكتئاب ووساوس، وبالتالي تصنع منه نموذجاً بشرياً صاعراً متحطماً مهشماً خاملاً منهزماً غير فاعل في أسرته ومجتمعه بدل انتاج فرد مصلح داعية بأفعاله وأخلاقه وأقواله ،ولأنّ الإيمان يستوجب الاستقامة - كما ذكرنا سابقاً - فإن هذه الاستقامة تقود الفرد إلى المعرفة الحقيقية بالله "والمعرفة في التربية الصوفية شجرة غرسها الله في قلوب الموحدين ووكلمهم بتربيتها، فعلى قدر التربية ينالون من ثمرتها، فكلما عظمت الشجرة وسقت غلظت كان أقوى لفروعها وأزكى لثمرتها وألذّ لطعمها"⁷.

ولأن للمرأة مكانة في هذا الفضاء الروحاني، فإنّ الزاوية كمؤسسة دينية تربوية أخذت على عاتقها مسألة الصحة الإيمانية وتقويتها لدى المرأة كصوفية ومريدة، من خلال إعادة صياغة الوجدان الصوفي، بمفاهيم إيمانية روحية عميقة كالحب الإلهي ومخالفة النفس والهوى، حتى ترقى الانفس إلى المعراج الروحي وتتخلق عملياً بالأخلاق السامية المثالية من خلال التعالي عن الدونيات والماديات والملذات والصراعات التي تذكّيها المصالح والأنانيّة والمادة درءاً لكل مصانع الانحراف ومسبباته ،ومن ثمة بلوغ حالة الرضى النفسي والحياة الطيبة ، كما قال تعالى: "مَنْ عَمِلْ صَالِحاً مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً"⁸.

فالشيخ صاحب البصيرة يدرك جلياً من خلال متابعه الرصينة والمركزة على أدائه إن كان قلبه معلقاً بالباطل والشهوات ،أو وجد منه ما ينافي تعاليم الدين الإسلامي ، أو انشغل قلبه عن دينه فيأمره بالخلوة والذكر والصوم "وبالخلوة ينقطع عن المبطلين والذين هم في عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه وبتقليل الطعام يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة ،فيرجع العقل إلى التعلق بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم"⁹، كما لاحظنا من خلال بعض حلقات الذكر التي كنا نحضرها بالزاوية أن المقدمة الزاوية لا تنفك تذكر المريدات بضرورة الاكتفاء بالحد الأدنى من المخالطة الاجتماعية خاصة إذا كان الوسط الذي تعيش فيه المريدة تشوبه شائبات

أخلاقية، فلا بدّ حينئذ من اللجوء إلى العزلة "على الصوفي أن يعتزل الخلق الذين لا خير فيهم ويترك فعلهم"¹⁰. ولأن العديد من المريدات هن فقيرات ماديا بالإضافة إلى وجود مريدات لا عائل لهن، فإن الصناعة السلوك الصوفي تتجه هذه المرة إلى التذكير بأهمية الصبر وهو أحد الأحوال الصوفية الراقية التي لا تعترف بسلطة المادة ولا بغبن العيش وشظفه وقلة الرزق وتدهور الحالة المعيشية، فالجوع عند الصوفي هو شبع الروح وملء القلب والروح إيماناً أفضل من ملء البطون طعاماً على حدّ تعبير إحدى الفقيرات اللواتي قابلنهنّ في الزاوية، وبالمقابل فالتواكل والطمع فيما يملك الغير ليست من صفات الصوفي ولا من شيمه، فقلة الرزق ليست مدعاة للتقاعس عن طلب العمل والسعي في الحصول عليه، لذلك لاحظنا حرص المقدمات على ترهيب الفقيرات من انتهاج أسهل الطرق من منظورهن في الحصول على المال الحرام كالسرقة أو التسول أو الدعارة وغيرها من الأعمال غير الشرعية التي تغري أصحابها بسرعة الحصول على المال، فالزاوية العلوية مثلاً من أكثر الزاويات حرصاً على تربية الفقيرات وحتى أولادهن، حيث يقول خالد بن تونس وهو المرشد الروحي لجماعة الإخوان منذ عام 1975 بالزاوية العلوية "نحن نحاول أن نزرع الأمل، بذرة أمل في فتياتنا الصغيرات والأولاد الصغار. علينا أن نضمن لديهم ما لا يقل عن أمله في أن ذريتهم لن يعيش في عالم من الدم، عالم من العنف وسوء الفهم والهيمنة"¹¹

ومن المظاهر الاجتماعية المعبرة عن الصحة الإيمانية لدى الصوفية، التضامن الاجتماعي الذي لمسناه منذ أول مرة دخلنا فيها الزاوية وحضرنا طقوس تصوفهم، والذي يتجلى بداية من شكل العلاقة التي تربط الفقيرات بالمقدمة من نصيح وإرشاد وموعظة وتعليم وإغاثة، وكذلك بين الفقيرات أنفسهن اللواتي لا تنفكن تتصافحن فور دخولهن الزاوية بعد كل مديح وبعد كل طقس وحتى عند افتراقهن من الزاوية، ضف إلى ذلك حالة التكافل الاجتماعي والأخوة والتي تتمثل في جمع المال من أجل مساعدة من هي مقبلة على تزويج أحد أولادها ولا تملك المال لذلك أو لمساعدة إحدى المريدات التي مات زوجها، أو اليتيمة منهن... بمعنى أعمّ هناك التفاف مادي ومعنوي حول بعضهن البعض، يساعدن بعضهن مادياً في حالة العوز، ويغثن بعضهن في الضراء، ويشاركن بعضهن في السراء وهو أمر ليس بالغريب على الزاوية، فلطالما كانت الزاوية مركزاً اجتماعياً لمساعدة المحتاجين والمحرومين والسابلة والنساء والأرامل وغيرهم، فتتبنى حاسة التضامن الاجتماعي والتعاطف المتبادل مع الأفراد والجماعات جعل العواطف والغايات الفردية في توافق مستمر مع ما يخدم المصلحة العامة، وتأسيساً على ما سبق

يتضح جليا كيف أنّ التربية الصوفية تسعى بالمريدات إلى أعلى درجات الصحة الإيمانية روحيا ووجدانيا وسلوكيا واجتماعيا ، لنفعلن بها أولا ولأسرهم ثانيا ولجتمعههم وأمتهم أخيرا ، ولا غرو أن حافظ إبراهيم كان يدرك أن تربية المرأة هي أساس بناء مجتمع صالح حيث قال:

من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

مما لا شك فيه ان التجربة الصوفية بكل معالمها من الأساليب التي تعد ناجحة في شفاء أمراض النفس وإصلاح عيوبها ظاهرا وباطنا "لهذا يعتمد المتصوفة في تأديبهم للمريد على آداب باطنية وآداب ظاهرية الباطنية ما تعلق بالنفس والظاهرية فهي آداب السلوك كالجلوس والحديث وغيرها من السلوكات"¹² ، وفي هذا الشأن يقول أبو الحسن الشاذلي : "أول منزل يطأه المحب للترقي منه إلى العلاء هو النفس ، فاذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح... فاذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا إلى تمام نهايته وهذه طريق العامة ، وأما طريق الخاصة فهي طريق مسلك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها..."¹³ ، وبما أنّ النفس أمارة بالسوء ستجد شيوخ التصوف حريصون كل الحرص على تنبيه السالك من اتباع الهوى والانسياق نحو رغبات ، فيعلمونه كيفية كبح جماعها عن طريق ممارسة الأحكام الشرعية والصلاة والذكر والاستغفار يقول أبو القاسم اللجائي : هم واقعون تحت تأثير الاستدراج أي أنه يأخذهم قليلا وهم لا يشعرون ، فمن حسن إسلام المرء ألاّ يعتقد أنّ في الناس أشر منه وإن كان عاصيا وأنت مطيع ، فإن الأمر يحدث بعد الأمر سرّ الله في خلق غامض ، الشقاوة والسعادة خافيتان ومقام الله على قلب الانسان بين أصبعيه يغيره كيفما شاء ، فإن كان مقام الله عز وجل أهم إليك فذلك هو المرغوب والمطلوب"¹⁴ .

إنّ مبدأ الصوفية يتمحور على التضرع والذكر والتكرار اللامتناهي لاسم الله حتى لتجد أي شيخ يحذر مريديه من ترك الذكر ، يقول أبو الحسن الشاذلي "من علامات النفاق ثقل الذكر على اللسان"¹⁵ . وكما أنّ للمذاكرة دور كبير في تقوية علاقة بين الشيخ والمريد وتجعل هذا الأخير أكثر استفادة من خبرة شيخه ، فسعي الشيخ لتربية المريد هو سعي يستهدف تكوين ظروف نفسية وتربوية ملائمة للوصول إلى قناعة إيمانية متطلعة للآخرة زاهدة في الدنيا وتبحث عن سعادتها من خلال انصرافها عن كل ما يصرفها ويشغلها عن معرفة الله ، ولا سبيل إلى الترقى إلا هذه التربية السلوكية والتي

ترتبط ارتباطا وثيقا بالإرادة البشرية الذاتية فمجاهدة النفس لا بدّ لها من إيمان قوي والذي يفضي إلى الترقّي والوصول إلى معرفة الله، يقول ابن عربي: والسير على طريق العرفان يدفع المريد لقطع منازل الصبر والفقر والانكسار والذلة والعبودية... وفق نهج سلوكي وأخلاقي يغترف من تصور روحي للوجود ويستمد الوجود عمقه من الكنز الخفي الذي هو ينبوع للحب..... وبالمدخول في مقام العبودية يكتسي العارف صفات تفتح امامه مقام القرب الإلهي¹⁶

فقد لمسنا من خلال زيارتنا الميدانية للزوايا أن الشيخ يتخذ منهاجا تربويا قد نجده في جميع الزوايا تتفق عليه ويعتمد بالأساس على الورد والاذكار والممارسات الطقوسية، ويهدف إلى صقل النفس الإنسانية وتهذيب ميولها وتقويم رغباتها وتربية الفقيرات تربية ذوقية وجدانية تمس القلب والروح، ومنحهم علما عمليا يرتبط بالمجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات قصد التقرب من الله، وهي حالة يشرق فيها القبس النوراني على القلب حتى تحتدي باليقين.

1-التربية عن طريق الأذكار والأوراد: عرفنا من خلال ما سبق كيف أن الذكر والسماع هما أهم محورين أساسيين في العبادة لدى الزوايا الثلاث التي زرتها، و ذلك لاحتوائهما على الوظيفة والتي تؤدي جماعيا، و للذكر أهمية كبيرة في توثيق الصلة بين المريدات أثناء التردد الجماعي للأوراد والتي يفضل فيها الحضور جماعي، إن لم نقل إجباريا حين تكون الممارسة فردية، وحين سألنا مقدمة الزاوية الهبرية (لالة فطيمة ابنة الهبري) عن أهمية الذكر قالت لنا: "إن الذكر صمام أمان للفقيرة حيث يحول بينها وبين كل مفسدة للقلب والسلوك، كما أنها حصن منيع ضد النسيمة والغيبة، والمعروف أنّ المرأة كثيرة الكلام وسريعة الانجراف وراء الزلل، لذا يجب تسخير هذه الملكة في الذكر بدل اللغو في الكلام واللغو بالإضافة إلى كونه أي الذكر يسبح بهن في ملكوت السماء فيتحرك اللسان والفكر معا وبهما تتحرك النفس شوقا لمعرفة الله والتقرب إليه والسعي إلى الترقّي والتكشف والبصيرة" إنّ هذه الطريقة تؤدي الى معرفة الأشياء والإله دون وسيط واختراق الأسرار وإزاحة الستار عن الوصول الى وجه متعال لمواجهة الحقيقة وجها لوجه¹⁷ او كما يسميه الصوفية (الالهام) "والالهام عندهم هو بديل الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه لا وحي بعد رسول الله والالهام الصوفي يأتي دون اعداد مسبق له¹⁸". ويمكن الخلوص إلى أن الذكر كما سبق وأن ذكرنا، هو فسحة للتطهير النفسي من مشاكل الحياة وتجاوز الضغوطات والقلق، لأنها تعلم الصبر والاعتزان النفسي والانضباط.

ب/ **التربية بالعبادات:** الصلاة صلة العبد بربه وهي النافذة المفتوحة المنكشفة للعبد يسأل الله فيها ربه ما يريد ،لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه لحظة السجود لذا ترى الشيوخ الطريقة يحثون مرديهم على ضرورة الالتزام بآداب خشوع القلب وإظهار الذل والاذعان والاستسلام وحسن الظن بالله واليقين بالإجابة ،وضرورة الحفاظ على أوقاتها المفروضة والمحافظة على صلاة الجماعة ما استطاع الانسان إلى ذلك سبيل ،لأن الصلاة الصحيحة أول طريق إلى الترقى المرغوب من قبل السالك وأول شروط الدخول في الطريقة، فلا يسمى صوفيا من اكتفى بالذكر دون الصلاة .وعليه فالعبادات لها دورها العظيم في الإصلاح والتزكية حينما تكون شعائر وليس طقوس آلية وان لم تؤدي هذه العبادات بخشوع وتقوى فإنها ستكون مجرد طقس شكلي فقط

ج/ **التربية عن طريق صلاة الفاتح:** ويقصد بصلاة الفاتح الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث يؤكد شيخ الزاوية ان للصلاة على النبي فضل عظيم لنيل حظ من الفضل الإلهي لذا فهو يعلم مردييه ويبين لهم الإكثار من الصلاة على النبي بعد أداء كل فرض ونافلة والفضل يؤتيه الله لمن يشاء وهو على كل شيء قدير وهذا ما لمسناه حين كنا نحضر أسبوعيا مساء يوم الاثنين بالزاوية التيجانية حيث لاحظنا أن الفقيرات يتحلقن حول الشيخة (لالة بدرة القلعي)¹⁹ ويرددن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تناغم وانسجام وتناسق وانتظام صوتي وإيقاع مضبوط .

د/ **التربية بالتخلي والتخلي:** إن الصحة الإيمانية لها قدرة كبيرة على انتاج الشعور بمراقبة الله عز وجل وهذا ما يدفع المؤمن إلى الإعراض عن كل ما نهانا عنه سبحانه والمصارعة إلى فعل كل ما يعود بالنفع والايجابية على الفرد و المجتمع ، لذلك يظهر سلوك الفرد الصوفي سويًا وسهل الضبط الاجتماعي والصحة الإيمانية تقتضي ميكانيزم آخر لتقوية هذا الايمان ،وهو التربية بالتخلي والتخلي وهي من الوسائل التربوية الإسلامية الفريدة في نوعها والتي تعمل على تركية النفس وإعادة تربيتها وتهذيبها وتقويمها ويقصد بالتخلي أن تتحلى النفس البشرية بالأوصاف الحمودة كبديل للأوصاف المذمومة التي اعتادت عليها ،وهو نوع من العلاج بالاجتهاد ولا بد فيه من التدرج²⁰، والتخلي كما ذكرنا سابقا هو الابتعاد عن كل ما يفسد العقل والقلب من رذائل ومظاهر للشر والتعلق بالدنيا والجري وراء الملذات والمشتهيات، أما التخلي فهو الاتصاف بالأخلاق الفاضلة بل والفضائل بصفة عامة كحب الخير للغير وخدمة الناس وانصاف المظلوم وإغاثة الملهوف وإعانة المعوز وإطعام الجائع ،وصون الأمانة وغيرها .. والتخلص من كل أمراض القلوب ،وقد أورد أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء

علوم الدين "أنّ التصوف هو طريق المجاهدة المضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبية على نفس المريد"²¹، ولكي تجعل منها نموذجاً إنسانياً يحتذى حذوه في المجتمع الذي يعيش فيه من جهة وتبعدها عن عالم الانحراف والانحراف وراء رغبات النفس وما هوت من جهة أخرى، "إن الإنسان خلق بنفس عامرة بالأهواء والغرائز التي اتباعها يجرّ إلى الخطيئة وسيادة الجرم والمعصية"²² وتهيئها لرسالتها الانبل وهي تربية أولادها بعيداً عن التجاذبات المادية والاجتماعية، إعادة ادماجها في المجتمع في حالة زيف أو زلل عن طريق الندم والتوبة لتدارك الزلل وإعادة تصحيح المسار الأخلاقي والاجتماعي وهو أسلوب نافع تنتهجه الصوفية كحلّ أسرع لقطع الصلة مع الانحراف السلوكي والعودة العاجلة إلى الطريق الصحيح ، وهذا له فاعلية كبيرة في إعادة نسج شبكة علاقات اجتماعية جيدة .

خاتمة:

إن التربية الروحية له قدرة وقائية وعلاجية ذوقاً ووجداناً وسلوكاً ومقاماً وحالاً وهو منهج سليم وفعال لصناعة السلوك الاجتماعي المرغوب كما أنّها وسيلة لترقية نفس المريدات والحصول على الوعي اللامتناهي في الكمال والذي يحدو بحاملاته الى الابتعاد بعيداً عن ترف الدنيا ومغرياتها الزائفة ومادياتها الزائلة والانكباب على المكاسب المادية السريعة ، والجري وراء المصالح الذاتية ، والتي تعزز قابلية صناعة السلوك الانحرافي وفي المقابل تعمل التربية الصوفية على إعادة شحن النفس بتقوى الله وبالحصل الحميدة واحترام القيم والمبادئ الدينية ، وكل هذا يضمن صناعة مجتمع تتساقط فيه العلاقات والمصالح والمنفعة فلا مكان للأناية ولا للمصالح الشخصية ولا للتباغض ولا للعداوات ولا للصراعات بل تضمن حالة من الامن والاستقرار والتوازن والتكافل الاجتماعي

الهوامش

¹ انجريس موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية. دار القصة، دت، 2006، ص156

² سورة الأنبياء، الآية: 94

³ الامام النووي، الأربعين النووية، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، د ط، 1999، ص8،

⁴ سورة فصلت، الآية: 30

⁵ ، الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله رسالة المسترشدين، دار السلام، حلب، ط2، 1971، ص63،

⁶ Revue Rose-Croix n° 223 – 2007,p6

⁷ الحكيم الترمذي، المسائل المكنونة، دار التراث العربي، القاهرة، 1980، ص133

⁸ سورة النحل، الآية: 97

- ⁹ : قاسم بن صلاح الدين الخاني، السير والسلوك الى ملك الملوك، مرجع سابق، ص 233
- ¹⁰ الشرنوبى، عبد المجيد، نائية السلوك الى ملك الملوك، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2007، ص 10
- Cheikh Khaled Bentounès «L’islam n’est pas un catalogue de prescriptions» journal El Watan, 3aout2017.¹¹
- ¹² الغالي ابن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية مرجع سابق، ص 181
- ¹³ تومي حدة، المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران، 2012/2013، ص 62
- ¹⁴ راس مال عبد العزيز، الزوايا والاصلة الجزائرية، مرجع سابق، ص 61
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 64
- ¹⁶ رياضة، نزهة، الأنوثة في فكر ابن عربي، مرجع سابق، ص 124 وما بعدها
- ¹⁷ Revue Rose-Croix n° 223 – 2007, p14
- ¹⁸ عبد الحكيم خليل سيد احمد، الدلالات اللغوية في الثقافة الصوفية، مجلة حوليات التراث، العدد 14-2014، ص 113
- ¹⁹ بدرة القلعي هي مقدمة الزاوية التيجانية والأخت الكبرى لشيخ الزاوية التيجانية الحالي الشيخ دادي القلعي ومساعدته أخوه الأصغر الشيخ بلقاسم القلعي
- ²⁰ حسن الشرقاوي، الأخلاق الإسلامية، القاهرة، مؤسسة مختار للتوزيع والنشر، د.ت، ص 139
- ²¹ أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج3، دار المعارف، بيروت، 1988، ص 75
- ²² احمد عبد الكريم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 257